

## آليات توظيف الشاهد الشعري القديم في تفسير الصّابوني

### نحو منهج تكاملي بين علوم اللّغة والعلوم الشرعيّة

صباح غرايبية

أستاذة محاضرة قسم أ، قسم الآداب واللّغة العربيّة، جامعة قسنطينة 1 الإخوة منتوري (الجزائر)

## Mechanisms for employing ancient Arabic poetic witness in Al-Sabouni's interpretation

### Towards an integrated approach between language sciences and Sharia sciences

Sabah Gheraibia

Associate Professor, Department of Literature and Arabic Language, University Constantine 1- Frères

Mentouri (Algeria), [sabah.gheraibia@umc.edu.dz](mailto:sabah.gheraibia@umc.edu.dz)

تاريخ الاستلام: 2025/08/10 تاريخ القبول: 2025/09/20 تاريخ النشر: 2025/12/01

#### الملخص:

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل المنهجية التي أتبعها الشيخ محمد علي الصّابوني في الاستشهاد بالشعر العربي القديم ضمن تفسيره الموجز "صفوة التّفاسير". ويهدف إلى الكشف عن الآليات التي حكمت هذا التّوظيف، والأغراض التي سعى الصّابوني لتحقيقها من خلاله، سواء كانت أغراضاً لغوية معجمية، أو نحوية تركيبية، أو بلاغية بيانية. كما يسعى إلى تقييم هذه المنهجية في ضوء أهداف التّفسير العامّة، وذلك اعتماداً على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال استقراء الشّواهد الشعريّة وتصنيفها وتحليلها. وقد خلص البحث إلى أنّ توظيف الصّابوني للشّاهد الشعري كان توظيفاً وظيفياً انتقائياً، يهدف إلى خدمة المعنى القرآني وتيسيره للقارئ المعاصر، مع هيمنة واضحة للغرض اللّغوي المعجمي، بما ينسجم مع الطّبيعة التّبسيطية التي أرادها لتفسيره. كلمات مفتاحية: الصّابوني، صفوة. التّفاسير، الشّاهد. الشعري، التّفسير القرآني، الشعر العربي، القديم، المنهجية. التّفسيرية.

#### Abstract:

This research examines the systematic methodology employed by Sheikh Muhammad Ali al-Sabuni in citing classical Arabic poetry within his concise Quranic commentary, Safwat al-Tafasir (The Essence of Commentaries). It aims to reveal the mechanisms governing this employment of poetic evidence and the objectives al-Sabuni sought to achieve through it whether lexical-semantic, syntactic-structural, or rhetorical-stylistic purposes. It also seeks to evaluate this methodology in light of the general objectives of Quranic interpretation. This is based on a descriptive-analytical approach through the examination, classification, and analysis of poetic evidence. The study concludes that al-Sabuni's use of poetic citations constituted a functional and selective employment aimed at serving the Quranic meaning and facilitating its understanding

for the contemporary reader, with a clear predominance of the lexical-semantic linguistic purpose, which aligns with the simplifying nature he intended for his commentary.

**Keywords:** Al-Sabuni, Safwat al-Tafasir, Poetic Citation, Quranic Interpretation, Classical Arabic Poetry, Exegetical Methodology.

#### مقدمة:

يُعدُّ التَّكامل المعرفيِّ بين شتَّى فروع العلوم الإنسانيَّة من أهمِّ التَّوجَّهات البحثيَّة المعاصرة. لما له من أثر بالغ في إثراء الفهم، وتعميق الدَّلالة، وتقديم قراءات أكثر شموليَّة للموروث الثَّقافيِّ والحضاريِّ. وفي هذا السِّياق، تبرز أهميَّة الرِّبط بين علوم اللُّغة العربيَّة والعلوم الشَّرعِيَّة؛ حيث يتجلَّى هذا التَّرابط في فهم النِّصوص المقدَّسة والنِّصوص الأدبيَّة القديمة على حدِّ سواء، فاللُّغة هي وعاء الفكر، وأداة البيان، وهي المفتاح الأساسيِّ لفكِّ رموز النِّصوص الشَّرعِيَّة وإدراك مقاصدها، ولا شكَّ أنَّ الشَّعر العربيِّ القديم يُمثِّل رافداً مهمَّاً في هذا الإطار، فهو ديوان العرب، وسجِّل مآثرهم، ومرآة تعكس أحوالهم اللُّغويَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة. لقد دأب المفسِّرون على الاستشهاد بالشَّعر لتوضيح المعاني اللُّغويَّة، وإثبات الشُّواهد النَّحويَّة والصَّرفيَّة، وتأكيد الدَّلالات السِّياقيَّة لآيات القرآنيَّة. ومن بين هؤلاء الأعلام، يبرز اسم الشَّيخ محمَّد علي الصَّابوني، الذي عُرف بأسلوبه الميسَّر في التَّفسير، واهتمامه بتقريب المعنى إلى الأذهان. ووفقاً لذلك تهدف هذه الورقة البحثيَّة إلى تسليط الضَّوء على حضور الشَّعر العربيِّ القديم في تفسير الصَّابوني، والكشف عن الكيفيَّة التي وُظِّف بها هذا الموروث الشَّعريِّ لخدمة النَّص القرآني، مؤكِّدةً بذلك على ضرورة تبني منهج تكاملي يجمع بين علوم اللُّغة والعلوم الشَّرعِيَّة في فهم أعمق وأشمل للمصادر الإسلاميَّة.

تنطلق هذه الدِّراسة من تساؤل محوري: ما هي الآليات والضُّوابط التي حكمت توظيف الشَّاهد الشَّعريِّ في تفسير

"صفوة التَّفاسير" للصَّابوني، وما هي الأغراض التي سعى لتحقيقها من خلال ذلك؟

تعتمد هذه الورقة البحثيَّة على المنهج الوصفيِّ التحليلي، وذلك من خلال رصد وتتبع الشُّواهد الشَّعريَّة العربيَّة القديمة في تفسير "صفوة التَّفاسير" للصَّابوني، وسيتمُّ تحليل هذه الشُّواهد من حيث سياقها اللُّغويِّ والشَّعري، وتحديد الأغراض التي استدعى الصَّابوني الشَّعر من أجلها (نحويَّة، صرفيَّة، بلاغيَّة، دلاليَّة)، بالإضافة إلى المنهج الاستقرائي لاستخلاص الأنماط المتكرِّرة في توظيف الصَّابوني للشَّعر، وبناء تصوُّر واضح لمنهجه في هذا الجانب.

ولتحقيق التَّكامل المنشود، سيتمُّ الرِّبط بين ما توصَّلت إليه الدِّراسة من نتائج لغويَّة وبلاغيَّة وبين الأهداف الشَّرعِيَّة لتفسير الصَّابوني، ممَّا يُسهم في بناء رؤية شاملة حول كيفيَّة تلاقي علوم اللُّغة بالعلوم الشَّرعِيَّة في عمليَّة التَّفسير القرآني من خلال أنموذج تطبيقي ممثلاً في تفسير الصَّابوني.

الدِّراسات السَّابِقة ومناقشة الفجوة البحثيَّة:

كثيرة هي الدِّراسات<sup>(1)</sup> التي تناولت كتاب صفوة التَّفاسير من النُّواحي اللُّغويَّة والبلاغيَّة، ومنها:

1- الدِّراسة اللُّغويَّة البلاغيَّة: أبرزها دراسة علي زواري أحمد (2015) بعنوان "قراءة في المنهج البلاغي للصَّابوني من خلال صفوة التَّفاسير"<sup>(2)</sup> التي بيَّنت كيف يُوظَّف الصَّابوني الشُّواهد الشَّعريَّة لبيان الدَّلالات اللُّغويَّة والبيانيَّة في القرآن الكريم، مع التَّركيز على البنية البلاغيَّة للنَّص القرآني وكيفيَّة تفسيره بشكل دقيق ومدروس.

2- الجانب الأسلوبيِّ والتَّفسيِّري: دراسة جهمان محمَّد صالح حول "توظيف الشَّاهد الشَّعريِّ الأسلوبيِّ في تفسير القرآن الكريم" (2024)<sup>(3)</sup>: التي عبَّرت عن أثر الشُّواهد الشَّعريَّة في إثراء تفسير النِّصوص القرآنيَّة من خلال استدراج

الآليات الشعرية كمفاتيح لفهم المعاني الضمنية للنصوص، مع التركيز على دور المتلقي والمفسر في خلق المعنى وتداول هذا الخطاب.

3- دراسات مقارنة ومنهجية: عدة بحوث أكاديمية ناقشت منهج الصابوني ضمن مصنفاته، إذ وجد أن الصابوني يتبع منهجاً وسطاً متكاملًا بين البلاغة اللغوية والشعرية، في حين توجد دراسات أخرى تناولت مقارنة بينه وبين كبار المفسرين كابن كثير والزمخشري<sup>(4)</sup> في توظيف الشعر والشواهد اللغوية في التفسير. الفجوة البحثية:

على الرغم من كثرة الدراسات المذكورة، إلا أن ثمة نقصاً في بحوث معمقة تحلل بشكل منهجي آليات ووسائل توظيف الشاهد الشعري العربي القديم في تفسير "صفوة التفاسير" كمطلب علمي يسد الثغرة بين الجانب اللغوي والشعري في التفسير، خاصةً بمنهج متكامل يبرز التفاعل بين علوم اللغة وعلوم الشريعة عبر الشواهد الشعرية.

## المبحث الأول

### الإطار النظري

#### 1- مفهوم الشاهد الشعري ونشأة المصطلح في التراث العربي:

مثلت الشواهد الشعرية "تقليدًا محكمًا في مؤلفات اللغة والنحو والأدب وشروح الشعر، ومن ثم صارت تلك الشواهد نفسها ملمحًا جوهريًا من ملامح الثقافة العربية"<sup>(5)</sup>، والشاهد عند أهل العربية -كما يقول التهانوي- هو: "الجزئي الذي يُستشهد به في إثبات القاعدة، لكون ذلك الجزئي من التثنية، أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم"<sup>(6)</sup>، أي: مثال جزئي يُستخدم كدليل أو برهان لإثبات قاعدة لغوية أو نحوية معينة. هذا المثال يُستشهد به لأنه مأخوذ من مصدر موثوق يعكس صحة القاعدة، سواء كان هذا المصدر من التثنية (أي القرآن الكريم) أو من كلام العرب المعروف بصحته وأصالته في اللغة. وبمعنى آخر، الشاهد هو قطعة لغوية محددة تُؤخذ كنموذج حقيقي يُثبت صحة قاعدة أو قاعدة فقهية في اللغة، ويُعتمد عليها لأنها تعبر عن استخدام فعلي للغة في نصوص معروفة وموثوقة، مما يجعلها أقوى من مجرد فرضية نظرية، إذ يربط الشاهد القاعدة النظرية بالواقع اللغوي الملموس، ويُظهر كيف تتجلى هذه القاعدة في كلام العرب بأفضل صورة ممكنة، بوصفه مثالاً لغويًا يُستخدم كدليل لإثبات قاعدة لغوية أو نحوية.

يُصنّف العلماء الشعر كأحد "المصادر السماعية التي أمدت العربية بأفصح التراكيب وأبلغها، وأحسن الأساليب وأجزل المعاني، وأثره في ترسيخ أصول العربية وقواعدها وضبط أقيستها معروف لدى أهل الصنعة، وقد صنّف في مصادر تثقيف اللسان وتقويمها بعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وحسبهُ شرقاً وغايةً أن كان رديفَ هذين الوحيين في حسن البيان، وفصاحة التراكيب والمفردات"<sup>(7)</sup>. وقد كان المفسرون هم السباقون في تبني هذا المفهوم؛ إذ اعتبروا الشعر العربي القديم مرجعًا رئيسًا لفهم غريب القرآن الكريم، وكان ذلك منذ عهد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. وقد استخدم الشاهد الشعري في التفسير لغرض توضيح معاني القرآن وإثبات دلالات لغوية، مستندين بذلك إلى اللغة العربية الأصيلة التي تعكسها الآيات الشعرية الثابتة. "وعلى هذا يكون المقصود بالشاهد الشعري اصطلاحًا هو الشعر الذي يُستشهد به في إثبات صحة قاعدة، أو استعمال كلمة، أو تركيب، لكونه من شعر العرب الموثوق بعربيتهم"<sup>(8)</sup>.

كما يُذكر أنّ الشاهد الشعريّ لم يكن فقط دليلاً لغويّاً، بل كان أداة احتجاجيّة عند النّحويّين<sup>(9)</sup>، حيث أصبح يشير تحديداً إلى الشّعْر المستخدم في الاحتجاج اللّغوي والنّحو لارتباطه في الذّهن بالقصيدة أو البيت الشعريّ الذي يُستشهد به في تفسير القرآن أو إثبات القواعد اللّغوية، وكان للنّحويّين دور بارز في ترسيخ هذا المعنى الاصطلاحيّ الدقيق<sup>(10)</sup>.

وعليه فقد شملت كتب التّفسير والدراسات القرآنيّة المبكّرة، التي اعتمدت على القرآن الكريم كنصّ أساسيٍّ، شواهد شعريّة متعدّدة من مختلف الأنواع، سواء كانت لغوية أو نحوية أو بلاغية أو تاريخية لتوضيح المعاني القرآنية وفهمها بعمق. وتعامل المفسّرون مع هذه الشّواهد وفق منهجيات علميّة مشابهة لمنهجيات المتخصّصين في علوم اللّغة، ممّا يظهر التّرابط الوثيق بين علوم اللّغة والتّفسير في التّراث الإسلاميّ.

## 2- أنواع الشّواهد الشعريّة عند علماء العرب القدامى:

أولى علماء السّلف عناية كبيرة بحفظ شعر العرب القديم، واستخدامه في تفسير القرآن الكريم وبيان ألفاظه؛ إذ كان الشّعْر أحد الأدوات الأساسيّة التي يُحتجّ بها لتوضيح المعاني اللّغوية والبيانيّة. ومن أشهر العلماء الذين حفظوا أعداداً ضخمة من الأبيات الشعريّة لاستخدامها في التّفسير والنّحو: أبان بن تغلب، وأبو مسحل الأعرابي، وخلف بن حيّان الأحمر، وأبو القاسم ابن الأنباري، وغيرهم.

ولعلّ حسن اجتهاد الباحث عبد الرّحمن بن معاضة الشّهريّ<sup>(11)</sup> في تتبّع تصنيف الشّواهد الشعريّة في مصادر التّراث العربيّ القديم، قد أفضى به إلى تقسيم العلماء لها في تفسير القرآن بحسب وظائفها المختلفة إلى سبعة أنواع رئيسية، حيث يُعرف كلّ منها بخصائصه ودوره التّفسيّري: ويمكن تلخيص ما وقف عليه على النّحو التّالي:

- الشّواهد اللّغويّة: هي الأبيات الشعريّة التي يستشهد بها المفسّرون لتوضيح ألفاظ القرآن وعلاقة اللفظ باللفظ أو بالمعنى، كبيان الاشتقاق أو تطوّر الدّلالة. وهي نوع عناية أصيلة في كتب التّفسير وكتب الغريب والمعاني، وغالباً ما تستشهد لإيضاح كلمات غريبة أو غير شائعة، كما حرص عليها عمر بن الخطاب وابن عبّاس رضي الله عنهما، إذ اعتُبر الشّعْر مصدراً لغويّاً توثيقاً لمعاني القرآن.
- الشّواهد النّحويّة: وترتبط هذه الشّواهد بالقواعد النّحوية التي يستدلّ عليها في كتب التّفسير، حيث يُستخدم الشّعْر كحجّة لإثبات قواعد النّحو أو بيان استثناءاتها، والتّأكيد على توجيه قواعد الإعراب. مثال ذلك، استشهاد ابن عطية بشعراء لإثبات قواعد تعيين مواقع الإعراب، مثل تقديم المفعول على الفعل أو توجيه القراءات المختلفة التي تعتمد على النّحو العربيّ الدقيق.
- الشّواهد الصّرفيّة: يستخدم المفسّرون الشّعْر لاستجلاء قواعد الصّرف والاشتقاق، مثل تأكيد معاني الصّيغ الصّرفيّة المختلفة أو شرح المعاني التي تتداولها الألفاظ في القرآن الكريم. ورغم أنّ هذا النّوع أقلّ وفرة من النّوعين السّابقين، إلّا أنّ له دوراً مهمّاً في تفسير كثير من مفردات القرآن.
- الشّواهد الصّوتيّة: تتناول هذه الشّواهد الطّواهر الصّوتيّة في اللّغة العربيّة مثل الإدغام والإمالة وتسهيل الهمز، بالإضافة إلى ضبط النّطق العربيّ الصّحيح، وتستخدم الشّواهد الشعريّة لتوضيح الأوجه الصّوتية التي وردت في القرآن الكريم.
- الشّواهد البلاغيّة: هذه الشّواهد تشتمل على الشّعْر المستخدم في تفسير مسائل بلاغيّة لتوضيح أساليب البيان في القرآن الكريم، مثل المجاز، والالتماس، والتّشبيه، وغيرها من صور البلاغة. وقد ساهم علماء البلاغة مثل أبو عبّادة والفراء وابن قتيبة في وضع المبادئ التي يعتمد عليها هذا النّوع من الشّواهد الشعريّة.

- الشواهد الأدبيّة: تضمّ هذه الشواهد أبيات شعريّة يستخدمها المفسّرون لأغراض تمثيليّة أو توضيحيّة للمعاني التي يتناولها التفسير، ولا تدخل ضمن معايير الشواهد اللغويّة أو النحويّة، بل تُورد لإبراز جماليّات اللّغة وتحفيز المتلقّي على التأمل عبر التشبيه والوعظ.
- الشواهد التاريخيّة: يعتمد هذا النوع على الشعر الذي يشهد لوقائع تاريخيّة أو أحداث متعلّقة بالقرآن وأسباب نزوله، ويُستخدم لإثبات الأخبار أو نفها، أو ضبط تواريخ وأماكن الأحداث، حيث كان الشعر دليلاً ذا قوّة وثقة لدى العرب على صحّة الأخبار والروايات.
- الشواهد المشتركة: هي تلك التي تتنوع فيها وظيفة الشاهد الشعريّ وتدخل في أكثر من تصنيف، مثل أن تكون لغويّة ونحويّة في آن واحد أو تشمل جوانب صرفيّة وتاريخيّة معاً. وغالباً ما ترد هذه الشواهد في كتب التفسير لتغطية أوجه متعدّدة من المعنى واللّغة.
- إنّ تنوع الشواهد في التفسير يعكس ثراء اللّغة العربيّة وعمق علومها، ويبرز كيف أنّ فهم القرآن الكريم لا يقتصر على جانب واحد، بل يحتاج إلى مقاربات متعدّدة تجمع بين اللّغة، النحو، الصّرف، الصّوت، البلاغة، الأدب، والتاريخ. كما أنّ هذا التنوع يجعل التفسير أكثر دقّة وشموليّة، يُثري كلّ نوع من الشواهد فهم المعاني ويعزّز وضوحها، كما يضمن توظيف اللّغة بكامل أبعادها لإيصال الرّسالة القرآنيّة بأفضل صورة. لذا، يحقّق تعدّد أنواع الشواهد التّكامل العلي بين مختلف فروع اللّغة ويخدم الغاية الشرعيّة من التفسير بشكل متوازن وموسّع.

## المبحث الثّاني

### الشاهد الشعري في كتاب "صفوة التّفاسير"

#### 1- الخصائص المنهجية العامّة لتأليف كتاب "صفوة التّفاسير":

يقول الصّابونيّ في مقدّمة كتابه "وقد أسميت كتابي "صفوة التّفاسير"، وذلك لأنّه جامع لعيون ما في التّفسير الكبير المفصّلة، مع الاختصار والترتيب، والوضوح والبيان"<sup>(12)</sup>، موضحاً أنّ هدفه الأساسيّ هو تقديم تفسير وسط بين التّفاسير الكبيرة المفصّلة التي قد تكون مطوّلة ومعقّدة، والتّفاسير المختصرة التي قد تفتقر إلى العمق أو التّرتيب المنهجي. لذا أسماه "صفوة التّفاسير" لأنّه يجمع "عيون" التّفاسير الكبرى، مع التّركيز على الاختصار والترتيب والوضوح والبيان، ليكون تفسيراً جامعاً وميسراً للمتلقّي. كما أبان عن منهجه في تأليفه قائلاً: لقد سلكت في طريقي لتفسير الكتاب العزيز الأسلوب الآتي: أولاً بين يدي السّورة، وهو بيان إجماليّ للسّورة الكريمة، وتوضيح مقاصدها الأساسيّة، ثانياً المناسبة بين الآيات السّابقة واللاحقة، ثالثاً اللّغة، مع بيان الاشتقاق اللّغويّ والشواهد الشعريّة، رابعاً سبب التّزول، خامساً التّفسير، سادساً البلاغة، سابعاً الفوائد واللّطائف"<sup>(13)</sup>، وتفصيلها على النحو التالي:

1- البيان الإجمالي: يبدأ كلّ مقطع بتقديم صورة شاملة عن المعنى العام للآيات، ممّا يعطي القارئ فهماً أوليّاً ومبسّطاً للنصّ القرآنيّ قبل الدخول في التّفاصيل.

2- التحليل اللفظي: ينتقل إلى شرح الكلمات والمفردات الصّعبة أو الغامضة في الآيات، حيث يقوم بتفسير معانيها اللّغويّة ودلالاتها، وهذا يساعد القارئ على فهم النصّ القرآنيّ بشكل أدقّ. في هذا القسم، يستعين الصّابونيّ بالشواهد الشعريّة، والتي تلعب دوراً كبيراً في توضيح المعنى اللّغويّ للكلمات، حيث تبرز هذه الشواهد كيف استُخدمت الكلمات في سياقات لغويّة وأدبيّة سابقة، ممّا يعزّز الفهم ويثبت المعاني.

3- سبب النزول: إذا كان هناك سبب نزول معروف وثابت للآيات، يذكره الصابوني، لأن معرفة سبب النزول تساعد في فهم السياق التاريخي والظرف الذي نزلت فيه الآية، مما يضيء المعنى ويجعله أكثر وضوحاً.  
4- المعنى الميسر للآيات: يقدم تفسيراً تحليلياً مبسطاً، يوضح القصد والمعنى من الآيات بطريقة سهلة ومباشرة، دون تعقيد أو تطويل، بما يُيسر الفهم على القارئ العادي.

5- اللطائف البلاغية: يختم كل مقطع بفقرة بعنوان "اللطائف" أو "الفوائد" يبرز فيها بعض الأسرار البلاغية والبيانية التي تحملها الآيات. هنا أيضاً يُستخدم الشاهد الشعري كثيراً، لأنه يعبر عن جماليات اللغة العربية ويكشف عن البلاغة والفصاحة التي تتجلى في تركيب الكلمات والمعاني.

ولعل هذه المنهجية السلسة، قد أسهمت في تحقيق غاية الصابوني من تأليف "صفوة التفاسير"؛ وهي تقديم تفسير متوازن يجمع بين الإيجاز والشرح، ويُسهل فهم القرآن للقارئ من خلال منهج متكامل، وهو ما وقف عليه الباحث محمد بن جميل زينو، في مسهل كتابه "تنبيهات هامة على كتاب صفوة التفاسير"، فذكر أهم ما يُميّزه، وأوجزه في ثلاث نقاط هي: "سهولة العبارة في التفسير، وذكره معلومات موجزة عن السورة في أولها، وكلامه عن البلاغة"<sup>(14)</sup>؛ إذ يبدأ بالتفسير الإجمالي، ثم التحليل اللفظي المدعوم بالشواهد الشعرية، ويذكر أسباب النزول، ثم يقدم تفسيراً مبسطاً، وينتهي بملاحظات بلاغية تضيف على النص رونقاً وجمالاً. وضمن هذا الإطار، يأتي الشاهد الشعري كأداة رئيسة في قسم "التحليل اللفظي" وقسم "اللطائف البلاغية"، ليخدم الهدف العام للتفسير وهو الوضوح والتيسير.

وبهذا التكامل الدقيق بين الاهتمام اللغوي والبلاغي والسياسي الأدبي الأوسع، نحسب أن الصابوني قد نجح في بناء تفسير متين ومتوازن يُثري الفهم القرآني بشكل شامل وعميق:

– فهو لا يكتفي بشرح معاني الكلمات أو توضيح القواعد النحوية، بل يربط بين النص القرآني وخلفيته الثقافية والأدبية، مما يفتح آفاقاً جديدة لفهم النص تتجاوز الجانب اللغوي إلى البعد البلاغي والفني، وهو ما يجعل القارئ يدرك روعة الإعجاز اللغوي والجمالي في القرآن، ويبرز الأسرار البلاغية التي تحملها الآيات.

– يكشف عن تفاعل النص القرآني مع التراث الشعري العربي، حيث يُولد معانٍ جديدة تنبثق من هذا الحوار الجدلي بين النصين.

لذا أصبح تفسير الصابوني مرجعاً مهماً يجمع بين الإيجاز والعمق، وأسهم في إثراء الفهم الثقافي والأدبي للنص المقدس، ما يجعله أداة لا غنى عنها للمفسرين والباحثين والقراء الراغبين في التعمق في معاني القرآن بأسلوب علمي منهجي وجمالي في الوقت نفسه.

2- معايير اختيار الشاهد الشعري لدعم التفسير البلاغي واللغوي للنص القرآني:

تعتمد منهجية الصابوني في اختيار الشاهد الشعري على معايير دقيقة ومنهجية تهدف إلى دعم التفسير البلاغي واللغوي للنص القرآني بشكل متكامل، مما يعكس وعيه العميق بأهمية التكامل بين اللغة، البلاغة، والسياق الأدبي. لاسيما وأنه يدرك أن القرآن الكريم نص لغوي وبلاغي فريد، يستلزم تفسيره فهماً دقيقاً للغة العربية في أعماق أبعادها. لذلك، يختار الشواهد الشعرية من التراث العربي الأصيل وفق معايير دقيقة تضمن أن تكون هذه الشواهد ذات دلالة لغوية وبلاغية واضحة تخدم تفسير المعاني القرآنية. وهي:

1- الأضالة اللغوية والبلاغية: يختار الصابوني الشواهد من الشعر العربي الأصيل الذي يعكس الاستخدام الفصيح للكلمات والتراكيب، مما يضمن دقة المعنى وقوة البلاغة.

- 2- الملاءمة الدلالية: يجب أن يكون الشاهد الشعري مناسباً لمضمون الآية، ويُقدّم دلالة لغوية أو بلاغية تخدم تفسير المعنى المقصود في النص القرآني.
- 3- التنوع الزمني والتنوع: ينتقي الشواهد من حقب شعرية وأقسام متنوعة (مثل: الشعر الجاهلي، الإسلامي، الأموي) لتوفير مدخل ثقافي وأدبي واسع يدعم التفسير.
- 4- الوضوح والبيان: يفضل الشواهد التي توضح المفردات الصعبة أو متعددة المعاني، أو التي تبرز القواعد النحوية والدلالات البلاغية بصورة واضحة.
- 5- التحليل والتقدم: لا يقتصر الصابوني على النقل الحرفي، بل يقوم بتحليل الشواهد وترجيح الأقوال المختلفة بناءً على مدى دقتها وصلتها بالآيات.
- 6- الإسهام في إثراء الفهم: يختار الشواهد التي تفتح آفاقاً جديدة لفهم النص، عبر إبراز التفاعل الجدلي بين الخطاب الشعري والقرآني، وتوليد معاني جديدة.
- 7- الاعتماد على مصادر تراثية موثوقة: يستند إلى مراجع شعرية وتراثية متخصصة لضمان صحة الشواهد ومدى ملاءمتها للنص القرآني.
- لقد جعلت هذه المعايير الشاهد الشعري في تفسير الصابوني أداة فعالة لتعميق الفهم اللغوي والبلاغي للنص القرآني، مع توثيق ثقافي وأدبي غني يدعم التفسير ويزيد من وضوحه وجماله.
- 3- أساليب تقديم الشاهد الشعري:
- في تفسيره "صفوة التفاسير"، يحرص الصابوني على تقديم الشاهد الشعري بأساليب متنوعة تناسب سياق التفسير وهدفه التوضيحي، مستخدماً عبارات مثل "أنشد" (15)، "قال الشاعر" (16)، قال "القائل" (17)، حيثاً، وذكر أسماء الشعراء المشهورين كحسان (18)، أو امرؤ القيس (19)، أبو العتاهية... (20). حين يكون ذلك مناسباً لتقوية الدليل وإضفاء الموثوقية على الشاهد. وهذا التنوع في العبارات يُساعد القاري على تمييز النص الشعري كمرجعية لغوية وأدبية مهمة تدعم المعنى القرآني. ومع ذلك لا يُوظف الصابوني الشاهد الشعري في تفسير جميع السور أو الآيات؛ ففي بعض المواضع، مثل سور النصر، الكافرون، الماعون، قريش، والهمزة، يغيب الشاهد الشعري تماماً. يعود ذلك غالباً إلى طبيعة النصوص:
- حيث تكون المعاني واضحة ومباشرة،
  - أو أنّ التركيز يكون على جوانب أخرى مثل: الأحكام الشرعية، القضايا العقائدية،
  - أو السياقات التي لا تستدعي الاستشهاد بالشعر.
- إنّ هذا التفاوت في توظيف الشواهد يدلّ على حكمة الصابوني في اختيار الأدوات التفسيرية المناسبة لكلّ حالة، فلا يُفترط في استخدام الشعر حيث لا حاجة له، ويستدعيه بحنكة حيث يخدم التوضيح اللغوي أو البلاغي أو الدلالي. وبذلك، يُظهر منهجاً متوازناً يراعي طبيعة النص القرآني ويحقّق الهدف التفسيري بفعالية ويسر.
- 4- دور الشاهد الشعري في كتاب صفوة التفاسير:
- يتجلى بشكل أساس في جانبين مهمين: التحليل اللفظي واللطائف البلاغية، وهو ما يعكس عمق فهم الصابوني لأهمية الشعر كمرآة للغة العربية وبلاغتها، وكيفية توظيفه لخدمة تفسير القرآن الكريم.
- 1- في التحليل اللفظي: يستخدم الصابوني الشواهد الشعرية كأداة قوية لتوضيح المعاني اللغوية للكلمات القرآنية. ولعلّ هذا الاستخدام يتميز بعدة جوانب:

— توثيق المعنى: يستعين بالشعر العربي القديم لإثبات استخدام الكلمة في سياقها اللغوي الأصيل، مما يؤثّق المعنى ويؤكد صحته.

— إظهار تعدّد الدلالات: من خلال الشواهد المتنوعة، يبيّن الصابوني كيف أنّ بعض الكلمات قد تحمل معاني متعدّدة، مما يثري فهم النصّ القرآني.

— ربط المعنى بالسياق التاريخي: يعكس الشعر القديم استخدام الكلمة في عصر نزول القرآن، مما يساعد على فهم المعنى كما فهمه المتلقون الأوائل.

— تعزيز الفهم اللغوي: عبر مقارنة استخدام الكلمة في الشعر واستخدامها في القرآن، يُعمّق فهم القارئ للمفردات القرآنية.

2- في اللطائف البلاغية: وفيما يُبرز دور الشاهد الشعري في إظهار الجمال الفني والبلاغي للنصّ القرآني، وذلك بـ:

— إبراز الصور البيانية: حين يستخدم الشعر لتوضيح كيف استخدمت الاستعارات والتشبيهات والكنيات في اللغة العربية، مما يساعد على فهم استخدامها في القرآن.

— توضيح الأساليب البلاغية: حين يبيّن من خلال الشعر كيفية استخدام أساليب مثل "الإيجاز والإطناب والتقديم والتأخير"، مما يكشف عن بلاغة القرآن في استخدام هذه الأساليب.

— المقارنة البلاغية: يقارن أحياناً بين الأسلوب الشعري والأسلوب القرآني، مُبرّزاً تفوق البلاغة القرآنية وإعجازها.

— كشف الإيقاع والجرس: يستفيد من الشعر لإظهار جمال الإيقاع اللفظي والجرس الموسيقي في الآيات القرآنية.

— تعميق الذوق الأدبي: من خلال المقارنات والتحليلات، يُنمي الصابوني الذوق الأدبي للقارئ ويجعله أكثر حساسيةً للجمال البلاغي في النصّ القرآني.

إذا وهذا الأسلوب المتكامل، يجعل الصابوني من الشاهد الشعري أداة فعّالة لا تقتصر على التوضيح اللغوي فحسب، بل تمتد لتشمل الكشف عن أسرار البلاغة القرآنية وجمالها الفني، وهو ما يساعد القارئ على فهم النصّ القرآني فهماً عميقاً يجمع بين دقّة المعنى وروعة الأسلوب، مما يُعزّز تقديره لإعجاز القرآن اللغوي والبلاغي.

### المبحث الثالث

#### توظيف الشاهد الشعري في تفسير الصابوني-الآليات والخصائص

##### 1-آليات توظيف الشاهد الشعري في تفسير الصابوني

إنّ موضوع توظيف الشواهد الشعرية في التفسير القرآني، وخصوصاً في منهج الصابوني، هو من الموضوعات الكبيرة والمتشعبة التي تجمع بين مجالات متعدّدة من العلوم، أبرزها العلوم اللغوية والعلوم الشرعية، علماً أنّ هذا التوظيف لا يقتصر على مجرد الاقتباس أو النقل، بل هو عملية دقيقة ومنهجية تعتمد على آليات تفسيرية متكاملة تهدف إلى توضيح المعاني، وإبراز الجمال البلاغي، وتعميق الدلالة القرآنية في ضوء السياق الشعري والتاريخي.

وعليه فإنّ فهم هذه الآليات يتطلب دراسة معمّقة لكلّ جانب من جوانب اللغة العربية، مثل معاني الكلمات، الاشتقاق، النحو، البلاغة، مع الرّبط الدائم بالمقاصد الشرعية والغايات التشريعية للنصوص القرآنية. ممّا يؤكد أنّ هذا التكامل بين العلوم ليس سهلاً أو بسيطاً، بل هو نتاج جهد علمي متواصل وتجربة تفسيرية ثرية تسعى إلى تقديم تفسير شامل يُمكن القارئ من استيعاب النصّ في أبعاده المختلفة.

وبناء على كل ما سبق، فما يقدمه هذا البحث هو محاولة محتشمة وبداية لفهم كيف يقوم الصابوني بتوظيف هذه الآليات في تفسيره، وكيف يجمع بين دقة اللغة وعمق الشرع، مما يجعل تفسيره نموذجاً يُحتذى به في الجمع بين المعرفة اللغوية والشرعية، أملاً في أن تفتح هذه المحاولة المجال أمام الباحثين لمواصلة البحث والتعمق، واستكشاف المزيد من التفاصيل الدقيقة التي تثير فهم التفسير القرآني وتبرز عظمة هذا المنهج التكاملي في خدمة النص المقدس.

أ- آية التوضيح اللغوي: وتعتمد على استخدام الشاهد الشعري كأداة لشرح وتفسير معاني الكلمات القرآنية التي قد تكون غامضة أو غير مألوفة.

المثال الأول: عند تفسير كلمة "الصمد" في الآية الثانية من سورة الإخلاق ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2)﴾، يستشهد الصابوني بقول الشاعر:

"أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدٍ بَعْمَرِ بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ"

ويشرح الصابوني أنّ «الصمد» في اللغة يعني السيد الذي يُصمد إليه في الحوائج، أي يُقصد ويُرتجى في قضاء الحاجات<sup>(21)</sup>، وهذا التفسير يعكس المعنى اللغوي العميق للكلمة كما هو في الاستخدام العربي الأصلي، موضحاً أنّ "الصمد" هو الذي يلجأ إليه الناس في حوائجهم ويستغنون عنه في الوقت نفسه.

بهذه الآلية، يقدم الصابوني شرحاً لغوياً مبنياً على التراث الشعري العربي، مما يسهم في إيضاح المفردات القرآنية بشكل دقيق ومبسط مع توثيق أدبي لغوي قوي

المثال الثاني: في تفسيره لكلمة "العقود" في بداية سورة المائدة (آية 1) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُجَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1)﴾، يورد الصابوني أنّ أصل كلمة "العقد" في اللغة هو الربط، حيث تقول: عقدت الحبل بالحبل، أي شددت وربطت الحبل، ويستشهد ببيت للشاعر الحطيئة يوضح فيه هذا المعنى:

"قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لَجَارِهِمْ شَدَّوا الْعِنَاجَ وَشَدَّوْا فَوْقَهُ الْكَرْبَا"

والعقد هنا يعني الوعد أو العهد المشدود والموثق، شبيه بعقد الحبال المتين الذي يصعب فكّه. وبالتالي، فإنّ كلمة "العقود" في القرآن تأتي لتعبّر عن العهود والمواثيق الموثقة بين الناس، التي يجب الوفاء بها. وهذا التفسير اللغوي يعكس عمق الكلمة ودقة معناها في السياق القرآني، كما استند إليه الصابوني في تفسيره لتوضيح معنى الآية ودلالة الوفاء بالعهد فكان توظيفه للشاهد الشعري لتقريب المعنى وتوضيح أهمية الالتزام بالعقود في المجتمع العربي القديم.

وتظهر هذه الآلية طريقة الصابوني في توظيف الكلمة ضمن سياقها اللغوي والتراثي، مع استدعاء الشواهد الشعرية واللغوية التي تُسهم في تركيب معاني دقيقة ويوثق السياق الأدبي للنص

وبالتالي تتأسس آلية التوضيح اللغوي على:

- توظيف الشاهد الشعري لتوضيح معاني الكلمات والعبارات القرآنية.
- استدعاء نصوص شعرية ولغوية دقيقة تدعم المعنى في سياقه القرآني.

– تعزيز التفسير بتوثيق المعاني من التراث العربي الأصيل.

– إضافة عمق لغوي وبلاغي للنص القرآني.

– جعل الفهم أكثر وضوحاً ودقة للقارئ.

ب- آلية الإثراء البلاغي: تقوم على توظيف الشاهد الشعري لإبراز جمال الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم من خلال المقارنة مع الشعر العربي القديم.

المثال الأول: تفسير قوله تعالى في سورة النجم: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: 1] يركّز الصابوني على شرح كلمات مثل "هوى" بأنها تعني السقوط أو النزول إلى الأسفل، ويشرح "مرّة" بمعنى القوة والصلابة كما جاء في قول قطرب: "تقول العرب لكلّ جزل الرأى حصيف العقل: ذو مرّة". و "تدلّى" تعني الامتداد من أعلى إلى أسفل، و"قاب" تعني القدر والمقدار، و"ضيزى" تعني الجائرة والمائلة عن الحقّ، ويؤكد هذا بالاستشهاد بشعر الحطينة:

"ضازت بنو أسدٍ بحكمهم إذ يجعلون الرأس كالدّنب"<sup>(22)</sup>

إذ يستخدم الصابوني الشاهد الشعري والمعجم اللغوي لتفصيل معاني الكلمات وتبيين دقة التعبير القرآني وجماله البلاغي، ممّا يؤكد البراعة الأسلوبية للنص ويثري التفسير.

آلية الإثراء البلاغي في تفسير الصابوني تتجلى في توظيفه الدقيق للغة العربية والشواهد الشعرية لإظهار جمال الأسلوب القرآني وتعميق معانيه

المثال الثاني: تفسير قوله تعالى في سورة يس: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ [يس: 8] في هذا المثال يعتمد الصابوني على تفسير الكلمات اللغوية الدقيقة وتوظيفها في الحقيقة البلاغية للنص القرآني مع الاستعانة بالشواهد الشعرية<sup>(23)</sup>.

كلمة {أَغْلَالاً} هي جمع "عُلّ" وهو القيد الذي يوضع في اليد، وقد يشدُّ به اليد مع العنق، ممّا يوحي بالقيود المشددة التي تُحمل فيها الأرجل والأيدي.

{مُقْمَحُونَ} وصف لرفع الرؤوس مع غضّ البصر، وهو تعبير لغوي دقيق أوردته اللغة العربية، حيث قال أهل اللغة إنّ الإقماح يعني رفع الرأس مع غضّ البصر، ويُقال للبعير "أقمح" إذا رفع رأسه عند الحوض وامتنع عن الشرب.

وللاستزادة البلاغية، يستشهد الصابوني بشعر بشر بن أبي خازم حيث يقول:

"ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالإبل القماح"

وهذا المشهد الشعري يُبرز المشاعر والتصرّفات عبر الصّور البلاغية الحيّة، ممّا يُعزّز الفهم القرآني للجملية ويعمّقها. وبهذا الأسلوب، يُظهر الصابوني كيف أنّ اللغة القرآنية تزخر بتراكيب لغوية تحمل معاني دقيقة مركّبة، ويستخدم الشاهد الشعري ليبرز الصّورة البلاغية التي تُحقّق تأثيراً قوياً وعمقاً في التدبّر.

هذه الآلية تقوّي الرّخم البلاغي للنص وتربطه بالتراث الشعري المجيد الذي يُجسّد المعاني بطريقة فنيّة بليغة

بهذه الطريقة، يؤكد الصابوني أن القرآن يتفرد بأسلوبه البلاغي الذي لا يلج فيه مطاوعة ولا تصرف، ويستخدم الشعر العربي القديم كشاهد لتوضيح هذا التفرد، مع إبراز موقف القرآن الأدبي الراقى والسامي الذي يتفوق على أقوى صور البلاغة الشعرية.

ج- آلية التعزيز الدلالي في التفسير: تعني استخدام الشاهد الشعري أو النصوص التراثية أو الأمثلة اللغوية لتقوية وتوضيح معنى أو دلالة معينة واردة في نص الآية القرآنية. هذه الآلية تسهم في ترسيخ معنى الآية وتنميته عبر الاستناد إلى نصوص أو معاني قرآنية أو بلاغية معمقة، لتجعل الفهم أكثر وضوحاً وشمولية.

المثال الأول: في سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرُ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)﴾ أين يُقسم الله تعالى بالزمن (العصر) ليؤكد على أهمية الوقت وتأثيره في حياة الإنسان، ويُبرز الخسران الذي يحيط بالإنسان بسبب تفضيله للعاجل على الأجل وغلبة الأهواء والشهوات عليه.

ويُعزز الصابوني هذه الفكرة من خلال الاستشهاد بالبيت الشعري<sup>(24)</sup>:

**إنا لنفرحُ بالأيام نقطعها وكلُّ يومٍ مضى نقصُّ من الأجل**

فهذا البيت الشعري يدعم المعنى القرآني بدلالة لغوية وبلاغية قوية، حيث يوضح أن الإنسان يفرح بالأيام ويمضيها، لكنه في الحقيقة يخسر جزءاً من عمره مع كل يوم يمر. وبالتالي فتوظيف هذا البيت يثري الفهم ويجعل المعنى أكثر قرباً وواقعية للقارئ، من خلال تصوير شعوري يعبر عن حقيقة الخسران المرتبط بالزمن.

المثال الثاني: في قوله تعالى في سورة العاديات: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (1)﴾ تتجلى آلية التعزيز الدلالي في هذا التفسير من خلال استخدام الشاهد الشعري لتوضيح وتثبيت معنى كلمة "ضَبْحًا" في الآية، والتي تُشير إلى صوت أنفاس الخيل أثناء العدو<sup>(25)</sup>.

وعزز الصابوني المعنى القرآني من خلال الاستشهاد ببيت عنتره الذي يصف صوت خيل المعركة قائلاً:

**والخيلُ تكدح حين تضح في حياض الموت ضبْحًا**

يُوضح هذا البيت الشعري بشكل حي ودقيق طبيعة الصوت الذي تصدره الخيل أثناء الهجوم، مما يدعم فهم القارئ لمعنى "الضح" ويجعله أكثر وضوحاً وواقعية. فهذا الشاهد، لا يكتفي الصابوني بشرح اللفظ فقط، بل يُعزز دلالاته عبر ربطه بصورة شعرية حية، تضيف عمقاً وجمالاً للنص، وتثبت المعنى في الذهن، مما يجعل الآية أكثر تأثيراً وقوة في التعبير عن مشهد العدو والخيل المسرعة.

آلية التعزيز الدلالي التي تضيف بُعداً شعرياً وأدبياً للنص القرآني، وتُساعد القارئ على إدراك المعنى بعمق أكبر

د- آلية الربط السياقي: هي آلية تفسيرية تعتمد على توظيف نصوص شعرية أو أدبية تُبرز أو تكشف جوانب من السياق العقائدي، التاريخي، أو الثقافي المرتبط بالآية القرآنية. تهدف هذه الآلية إلى تعميق فهم النص من خلال ربط معناه بما يحيط به من ظروف أو معتقدات أو حقائق متعلقة به.

المثال الأول: يقول الصابوني في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ على أن الله تعالى نجى رسوله عيسى من شر اليهود الخبيثاء فلم يُقتل ولم يُصلب وإنما صلبوا شخصاً غيره ظنوه عيسى وهو الذي ألقى الله الشبه

عليه فقتلوه وهم يحسبونه عيسى، وهذا هو الاعتقاد الحقّ الذي يتفق مع العقل والنقل، وأمّا النصارى فيعتقدون أنّه صلب وأنّ اليهود أهانوه ووضعوا الشوك على رأسه وأنّه تضرّع وبكى مع زعمهم أنّه هو «الله» أو «ابن الله» وأنّه جاء ليخلص البشريّة من أوزارها إلى غير ما هنالك من التناقض العجيب الغريب ولقد أحسن من قال:

|                              |                            |
|------------------------------|----------------------------|
| عَجَبًا للمسيح بين النصارى   | وإلى أيّ والدٍ نسبه!       |
| أسلموه إلى اليهود وقالوا     | إنّهم بعد ضربه صلبوه       |
| فإذا كان ما يقولون حقًا      | وصحيحًا فأين كان أبوه؟     |
| حين خلّى ابنه رهين الأعدائيّ | أتراهم أرضوه أم أغضبوه؟    |
| فلئن كان راضيًا بأذاهم       | فاحمدوهم لأنّهم عدّوه      |
| ولئن كان ساخطًا فاتركوه      | واعبدوهم لأنّهم غلبوه (26) |

يعكس الشاهد الشعريّ التناقضات العقائدية التي نقرأ عنها في الآية: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ فهذه الآية تنفي صلب عيسى عليه السّلام وتؤكد أنّ الله نجّاه، في حين ينتقد الشّاعر معتقدات النصارى التي تنسب إلى المسيح ألوهيّة وأحداث الصّلب، ويطرح تساؤلات نقدية حول دور "الأب" في هذا السّياق، مستفيدًا من تصوير شعريّ قويّ للتناقضات.

وهذه الطّريقة، يربط التّفسير بين النّص القرآني والوضع العقائديّ والثّقافي للنصارى، ممّا يزيد من وضوح المعنى ويبرز الحكمة من التّزيه الإلهي للمسيح.

على تقريب الفكرة إلى ذهن القارئ بأسلوب أدبيّ مؤثّر، يُبرز الصّراع الفكريّ  
والديني المرتبط بالموضوع

هـ- آية الاستدلال النّحويّ: يذكر الصّابوني أحيانًا صيغ المفردات ليدلّ على قوّة بلاغتها في مكانها، وعلى أنّ القرآن الكريم استخدم هذه الصّيغة لغاية لغويّة بليغة (27)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هَمَّاتٌ هَمَّاتٌ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُنَاءً فَبُعْدًا لِلظَّالِمِينَ﴾ المؤمنون (20، 39).

قال: هَمَّاتٌ = اسم فاعل ماضٍ بمعنى بعد، قال الشّاعر:

تذكّرت أيا ما مضين من الصّبا وهَمَّاتٌ هَمَّاتٌ إليك رجوعها

(...) (بعدا) هلاكًا، قال سيبويه: وهي منصوبة بأفعال لا يُحسن إظهارها، أي بعدوا أي هلكوا (28).

لقد جمع الصّابوني في هذا المثال بين الاشتقاق والإعراب وشرح الغريب وكان الشّاهد الشعريّ المختار جامع لغايته وموضّح لها، وهذا دليل آخر على أنّ الشّواهد الشعريّة هي المرجع الموثوق به لأساليب العرب... والمصدر الأصيل للمفردات اللّغويّة وطرق التّعبير (29).

ويمكن إجمال غايات توظيف هذه الآليات في الجدول التّالي:

الجدول 1: آليات توظيف الشاهد الشعري في تفسير الصابوني

| الآلية                | شرح الآلية   | الغاية الأساسية   |
|-----------------------|--|---|
| آلية التوضيح اللغوي   | استخدام الشاهد الشعري لتفسير معاني الكلمات والعبارات القرآنية الغامضة أو غير المألوفة بدقة لغوية         | شرح وتفسير معاني الكلمات والعبارات القرآنية الغامضة أو غير المألوفة بدقة لغوية                      |
| آلية الإثراء البلاغي  | توظيف الشاهد الشعري لإبراز جمال الأسلوب البلاغي في القرآن مقارنة بالشعر العربي القديم لتعميق الفهم الفني | إبراز جمال الأسلوب البلاغي للقرآن الكريم من خلال المقارنة مع الشعر العربي القديم لتعميق الفهم الفني |
| آلية التعزيز الدلالي  | استخدام الشاهد الشعري أو النصوص التراثية لتقوية وتوضيح معاني ودلالات الآيات بشكل واضح وشامل              | تقوية وتوضيح معاني ودلالات الآيات لجعل الفهم أكثر وضوحًا وشمولية باستخدام نصوص تراثية               |
| آلية الربط السياقي    | توظيف نصوص شعرية أو أدبية تكشف السياق العقائدي أو التاريخي أو الثقافي المرتبط بالآية لتعميق الفهم        | ربط النص القرآني بالسياق العقائدي، التاريخي، أو الثقافي لتعميق الفهم والحكمة من النصوص              |
| آلية الاستدلال النحوي | استخدام الشواهد الشعرية كأدلة نحوية لإثبات قواعد الإعراب أو توجيهها، مما يعزز فهم تركيب الجملة القرآنية  | توضيح القواعد النحوية والإعرابية للآيات القرآنية لتأكيد صحة التراكيب وفهمها بشكل دقيق               |

المصدر: إعداد الباحثة

يُبين الجدول بشكل واضح تنوع الآليات التي يعتمد عليها الصابوني في توظيف الشواهد الشعرية لفهم وتفسير القرآن الكريم، حيث تشمل جوانب متعددة تبدأ من التوضيح اللغوي للكلمات والعبارات الغامضة، مرورًا بإبراز الجمال البلاغي للنص القرآني من خلال مقارنة الأسلوب مع الشعر العربي القديم، وصولًا إلى تعزيز الدلالات وتوضيحها بشكل شامل عبر نصوص تراثية. كما يربط الجدول بين النص القرآني وسياقه العقائدي والتاريخي والثقافي، ما يساعد على تعميق الفهم وإظهار الحكمة من الآيات. وإضافة آلية الاستدلال النحوي تؤكد أهمية الشواهد الشعرية في إثبات القواعد النحوية التي تحكم تركيب الجمل القرآنية، مما يعزز الدقة اللغوية ويبرز التكامل بين علوم اللغة والنص الشعري. بهذا الشكل، يُظهر الجدول كيف أنّ الشواهد الشعرية ليست مجرد أدلة لغوية فقط، بل أدوات متعددة الأبعاد تخدم التفسير من نواح لغوية ونحوية وبلاغية وسياقية، مما يجعل عملية التفسير أكثر غنى وشمولية.

## 2- سمات وخصائص التوظيف الشعري عند الصابوني:

1- الانتقائية والوظيفية: لا يقتصر الصابوني على جمع الشواهد الشعرية بشكل عشوائي أو استعراضي، بل يتبع مبدأ الانتقاء الدقيق، فكل شاهد شعري يُختار بعناية ليخدم معنى معيّنًا في الآية أو النص القرآني، ليكون له دور وظيفي واضح في التفسير، سواء في توضيح معنى لفظي، أو إبراز بلاغة، أو دعم دلالة، وهذه الانتقائية تجعل الشواهد مختصرة ومؤثرة، وتجنب التثنت والتكرار غير الضروري.

2- الوضوح وتجنب التعقيد: يُفضّل الصابوني استخدام الأبيات الشعرية السهلة والمشهورة لدى القارئ العربي، والتي لا تحتاج إلى شرح مطوّل أو تفسير معقّد، وهذا الأسلوب يُسهّل على القارئ فهم المعنى المقصود بسرعة، ويجعل التفسير ميسرًا وذو طابع تعليمي واضح، بعيدًا عن التعقيدات التي قد تعيق الاستيعاب.

3- عدم الاهتمام بالتخرّيج: عادةً ما يكتفي الصابوني بعبارات عامة مثل "قال الشاعر" أو "قال أحدهم" دون تحديد اسم الشاعر أو مصدر البيت بدقة. هذا النمط يتناسب مع طبيعة تفسيره المختصرة والمبسّطة التي تُركّز على الفهم المباشر للنص القرآني، لكنّه قد يُعتبر قاصرًا من منظور البحث الأكاديمي المتخصّص الذي يتطلب توثيقًا دقيقًا للشواهد.

4- التركيز على شعر الفحول: يولي الصابوني اهتمامًا خاصًا لشعراء العصر الجاهليّ وصدر الإسلام المعروفين بفصاحتهم وقوة بلاغتهم، مثل علقمة بن عبّيد، عنزة بن شدّاد، وامرؤ القيس، وهذه الشواهد تُعتبر مرادفًا للغة العربية الأصلية الفصيحة، وتُعزّز من مصداقية التفسير وعمقه اللغويّ، كما تعكس أصالة التراث العربيّ الذي يُستمدّ منه فهم القرآن.

3- أوجه التّكامل بين العلوم اللّغويّة والشّرعية في تفسير الصّابوني من خلال توظيف الشّواهد الشعريّة: ويمكن إجمالها في:

✓ تنوع الصّابوني في مصادر تفسيره أسّس لفكرة التّكامل المعرفي بين العلوم اللّغويّة والشّرعية بشكل بارز؛ حيث اعتمد على مجموعة متنوّعة<sup>(30)</sup> من المصادر التي تشمل القرآن الكريم، الحديث النبويّ الشريف، علوم اللّغة (كالصرف والنحو والبلاغة)، والعلوم الشّرعية كالفقه وأسباب التّزول والعقيدة، وهو ما يعكس منهجًا علميًا دقيقًا يربط بين الجانب اللّغويّ الذي يوضّح دلالات الكلمات والأساليب البيانيّة، والجانب الشّرعّي الذي يستنبط الأحكام ويشرح الحكم الرّبّاني، ممّا يُقدّم تفسيرًا متكاملًا وميسرًا يُراعي أبعاد النصّ القرآني المختلفة.

✓ يُعزّز توظيف الصّابوني للشّواهد الشعريّة العربيّة القديمة في تفسيره فكرة التّكامل المعرفي وتنوّع المصادر، وذلك لما لهذه الشّواهد من أهميّة كبيرة في:

➤ توضيح دلالات الكلمات والمفردات القرآنيّة: لأنّ الشّعْر الجاهليّ أهمّ مصدر لفهم لغة العرب في عصر نزول القرآن، فهو يعكس الاستخدامات اللّغويّة الأصليّة، ممّا يُساعد على تفسير معاني الكلمات التي قد تختلط على القارئ المعاصر.

— تقديم السّياق الثقافي والاجتماعي: باستخدام الشّعْر الجاهلي، يُمكن للمفسّر أن يربط بين النصّ القرآني والواقع التاريخي واللّغويّ للعرب في ذلك العصر، ممّا يُعمّق الفهم ويثري التّفسير.

— تكامل بين العلوم اللّغويّة والشّرعية: تُعتبر الشّواهد الشعريّة جسرًا بين اللّغة العربيّة باعتبارها علمًا ذاتيًا وبين نصوص القرآن التي تحتاج تفسيرًا يرتكز على معرفة لغويّة دقيقة لبيان الحكم الشّرعّي والمعنى القرآني.

— إضافة جماليات أدبية وفنية للتفسير: يُساعد إدخال الشعر على إيصال المفاهيم القرآنية بلغة فصحة وبيان أقوى يُعزّز من روح البيان في القرآن. وبالتالي فإنّ هذا الاستخدام للشواهد الشعرية يجعل تفسير الصّابوني نموذجًا متكاملًا يجمع بين الفقه، اللغة، الأدب والعلوم الشرعية، ما يُحقّق فهمًا أعمق وأكثر واقعية للقرآن الكريم. أمّا عن أوجه هذا التكامل فقد تجلّت في بعدين مترابطين:

— البعد اللغوي الذي يشمل الاشتقاق، الإعراب، البلاغة، والصّور الشعرية.

— البعد الشعري الذي يُبرز الأحكام، المقاصد، والغايات من النّص القرآني.

وعليه فتوظيف الصّابوني للشواهد الشعرية كأدوات دقيقة لبيان المعنى، وفهم النّص القرآني في عمقه، وبحسب دراسات علمية نقدية مثلًا دراسة علي زوّاري أحمد "قراءة في المنهج البلاغي للصّابوني من خلال صفوة التّفاسير"<sup>(31)</sup>، يُعتبر منهج الصّابوني نموذجًا متوازنًا يجمع بين البيان اللغوي والهدف الشعري، مُتجنبًا التعقيد الفلسفي والمصطلحات الفنية التي قد تُعيق الفهم.

#### خاتمة:

في ضوء الدّراسة التحليلية لتوظيف الشاهد الشعري في تفسير الصّابوني "صفوة التّفاسير"، يتّضح جليًا كيف يجمع المُفسّر بين العلوم اللغوية والشرعية في منهج متكامل يُعزّز من دقّة الفهم وعمق المعنى للنّص القرآني، وقد برهن أنّ الشعر العربي القديم ليس مجرد زخرفة بل أداة فعّالة تُخدم التّفسير من خلال توضيح المعاني، إبراز البلاغة، وتعميق الدّلالة، مع ربط النّص بسياقه الثقافي والعقائدي. ولعلّ هذا التكامل يجعل تفسيره مرجعًا متميزًا يجمع بين الإيجاز والعمق، ويُوفّر للقارئ قراءة شاملة ومتوازنة للنّص القرآني.

#### أهمّ النتائج:

- توظيف الشواهد الشعرية السهلة والمشهورة يجعل التّفسير ميسرًا ومفهومًا.
- عدم الاهتمام بالتّخرّج يعكس طبيعة التّفسير المختصر لكنّه يحدّ من الدقّة الأكاديمية.
- اعتماد الصّابوني على الشاهد الشعري يتمّ بانتقائية دقيقة تُخدم المعنى بوضوح وفعالية.
- التّركيز على أبيات شعراء الفحول يُعزّز عمق التّفسير اللغوي والبلاغي ويُرسّخ التراث العربي الأصيل.
- الشاهد الشعري ليس إضافة زخرفية بل أداة تفسيرية متعدّدة الأبعاد تُخدم الفهم اللغوي، البلاغي، والسياقي.
- توضّح آليّة التّوضيح اللغوي المعاني الدّقيقة للكلمات والعبارات القرآنية، فتؤدّي إلى فهم لغويّ دقيق للنّص.
- تُبرز آليّة الإثراء البلاغي جمال الأسلوب القرآني عبر مقارنة مع الشعر العربي القديم، ممّا يُعمّق الفهم الفنّي للنّص.
- تقوّي آليّة التّعزّيز الدلالي للمعاني وتوضّح دلالات الآيات، فتجعل الفهم أكثر وضوحًا وشمولية.
- تربط آليّة الرّبط السياقي النّص القرآني بالسياقات العقائدية والتاريخية والثقافية، فتزيد من عمق الفهم وحكمته.

– تُثبت آليّة الاستدلال النّحوي وتوجّه قواعد النّحو والإعراب في القرآن باستخدام الشّواهد الشعريّة، ممّا يُعزّز الدّقة اللّغويّة في التّفسير.

– التّكامل بين العلوم اللّغويّة والشّرعية يظهر جليّاً في منهج الصّابوني ويُعزّز من قيمة تفسيره.

#### التّوصيات:

- تشجيع الدّراسات المستقبلية على توثيق الشّواهد الشعريّة بدقّة لتعزيز الجانب الأكاديمي في التّفسير.
- تبني مناهج تفسيرية تجمع بين التّيسير والعمق مع الاهتمام بجوانب العلوم اللّغويّة والشّرعية.
- الاستفادة من الثّراث الشعري العربي القديم كرافد غنيّ للتّفسير والتّدريس في علوم القرآن.
- تطوير برامج تعليمية تربط بين علوم اللّغة والعلوم الشّرعية لتعميق فهم النّصوص الدّينية.
- تعزيز الوعي بضرورة التّفسير المتكامل الذي يراعي اللّغة، البلاغة، والسيّاق الشّرع والتّاريخي للنّص القرآني.

#### بيانات الإفصاح:

- الموافقة الأخلاقية والموافقة على المشاركة: تم الاتفاق على المشاركة في البحث وفقاً للإرشادات الخاصة بالمجلة.
- توافر البيانات والمواد: كافة البيانات والمواد متاحة عند الطلب.
- مساهمة المؤلفين: يتحمل المؤلفين مسؤولية كافة محتويات البحث والتحليل والمنهجية والمراجعة الكاملة.
- تضارب المصالح: لا يوجد تضارب في المصالح لأي طرف من خلال تصميم البحث وتقديمه وتقييمه.
- التمويل: لا يوجد أي تمويل مخصص لهذا البحث.
- شكر وتقدير: الشكر الجزيل لأكاديمية التطوير العلمي ومجلة المؤتمرات العلمية (JSC) على الدعم والإرشادات

[/https://sdasmart.org/jsconf](https://sdasmart.org/jsconf)

#### قائمة المراجع:

- أحمد مختار، عمر. (1988). *البحث اللّغوي عند العرب مع دراسة لقضيّة التأثير والتأثر* (ط 6). عالم الكتب، مصر.
- الإشبيلي، عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله ابن أبي الرّبيع القرشيّ الأمويّ العثمانيّ (ت 688 هـ). (22-25 المحرّم 1410 هـ - ذو الحجّة 1413 هـ). *تفسير الكتاب العزيز وإعرابه*. تحقيق: عليّ بن سلطان الحكمي، الطّبعات 85-100، الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة، المملكة العربيّة السّعوديّة.
- بن جلّول، صيرة. بن نعيمة، عبد الغفّار. الإمامان ابن كثير والصّابوني وملاحج تفسير القرآن بالقرآن. *مجلة العلوم القانونيّة والاجتماعيّة*، جامعة زيّاني عاشور، الجلفة، المجلد 3 (العدد 4).
- بن معاضة الشّهريّ، عبد الرّحمن. (1431 هـ). *الشّاهد الشعريّ في تفسير القرآن الكريم أهمّيّته وأثره ومناهج المفسّرين في الاستشهاد به* (ط 1). مكتبة المنهاج للنّشر والتّوزيع، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة.

- التّهانويّ، محمّد بن عليّ ابن القاضي محمّد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (ت بعد 1158 هـ). (1996). *كشّاف اصطلاحات الفنون*. ج 1، تحقيق: د. عليّ دحروج، ط 1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.
- حسن بكار موسى، نجوى. بن الحاج محمّد نور، أحمد يونس. (ديسمبر 2018). مختصرات الشّيخ محمّد عليّ الصّابوني، بين قادح ومادخ وأسباب الاختلاف بينه وبين أنمّة السّلف. *مجلة العلوم الإسلاميّة*، المجلد 1 (العدد 2).
- الصّابونيّ، محمّد عليّ. (1990). *صفوة التّفاسير* (ط 5). شركة الشّهاب، الجزائر.
- عليّ زوّاري، أحمد. (ديسمبر 2015). قراءة في المنهج البلاغيّ الصّابوني من خلال صفوة التّفاسير. *مجلة علوم اللّغة العربيّة وآدابها*، المجلد 4 (العدد 8).
- كرعوز، مصطفى. جمول، ياسين. (2017). الاستشهاد في اللّغة العربيّة. *مجلة كليّة الألهيات (i.Ü. İlahiyat Fakültesi Dergisi)*، المجلد 8 (العدد 2).
- ماجد، ياسر. ياسين، محمّد. فنّ التّفسير وأدبه في العصر الحديث.
- محمّد صالح أحمد، جيهان. (ديسمبر 2024). توظيف الشّاهد الشّعريّ الأسلوبيّ في تفسير القرآن الكريم -دراسة في نقد استجابة القارئ-. *مجلة كليّة الآداب، الوادي الجديد*، المجلد 10 (العدد 20).
- مرصد تفسير للدراسات القرآنيّة. *صفوة التّفاسير لمحمد عليّ الصّابوني (ت 1442 هـ) - طبعاته، مصادره، ملامحه، تصنيفه، الدّراسات حوله*. [https://tafsiroqs.com/article?article\\_id=4439](https://tafsiroqs.com/article?article_id=4439).

#### التهميش:

- (1) مرصد تفسير للدراسات القرآنيّة. *صفوة التّفاسير لمحمد عليّ الصّابوني (ت 1442 هـ) - طبعاته، مصادره، ملامحه، تصنيفه، الدّراسات حوله*. [https://tafsiroqs.com/article?article\\_id=4439](https://tafsiroqs.com/article?article_id=4439)
- (2) عليّ زوّاري، أحمد. (ديسمبر 2015). قراءة في المنهج البلاغيّ الصّابوني من خلال صفوة التّفاسير. *مجلة علوم اللّغة العربيّة وآدابها*، المجلد 4 (العدد 8) الصفحات 220-239.
- (3) محمّد صالح أحمد، جيهان. (ديسمبر 2024). توظيف الشّاهد الشّعريّ الأسلوبيّ في تفسير القرآن الكريم -دراسة في نقد استجابة القارئ-. *مجلة كليّة الآداب، الوادي الجديد*، المجلد 10 (العدد 20) الصفحات 1057-1087.
- (4) ينظر مثلاً لا حصراً: بن جلّول، صيرة. بن نعيمة، عبد الغفار. الإمامان ابن كثير والصّابوني وملاحم تفسير القرآن بالقرآن. *مجلة العلوم القانونيّة والاجتماعيّة*، جامعة زّياني عاشور، الجلفة، المجلد 3 (العدد 4) الصفحات 77-88.
- (5) محمّد صالح أحمد، جيهان. *توظيف الشّاهد الشّعريّ الأسلوبيّ في تفسير القرآن الكريم*. الصفحة 1059.
- (6) التّهانويّ، محمّد بن عليّ ابن القاضي محمّد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (ت بعد 1158 هـ). (1996). *كشّاف اصطلاحات الفنون*. ج 1، تحقيق: د. عليّ دحروج، ط 1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت. الصفحات 1002-1003. (الشّاهد)
- (7) الإشبيليّ، عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله ابن أبي الرّبيع القرشيّ الأمويّ العثمانيّ (ت 688 هـ). (22-25 المحرم 1410 هـ - ذو الحجّة 1413 هـ). *تفسير الكتاب العزيز وإعرابه*. تحقيق: عليّ بن سلطان الحكمي، الطّبعات 85-100، الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة، المملكة العربيّة السّعوديّة. الصفحة 360.
- (8) الشّهريّ. الشّاهد الشّعريّ. الصفحة 60.
- (9) كرعوز، مصطفى. جمول، ياسين. (2017). الاستشهاد في اللّغة العربيّة. *مجلة كليّة الألهيات (i.Ü. İlahiyat Fakültesi Dergisi)*، المجلد 8 (العدد 2) الصفحات 82، 83.
- (10) للتوسّع ترجى العودة إلى: أحمد مختار، عمر. (1988). *البحث اللّغويّ عند العرب مع دراسة لقضيّة التّأثير والتّأثر* (ط 6). عالم الكتب، مصر، الصفحات 42 وما بعدها.

- (11) ينظر: بن معاذة الشّهري، عبد الرحمن. (1431 هـ). الشّاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته وأثره ومناهج المفسرين في الاستشهاد به (ط 1). مكتبة المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السّعودية، الصفحات 66-95.
- (12) الصّابوني، محمّد علي. (1990). صفوة التّفاسير (ط 5). شركة الشّهاب، الجزائر، الصفحة 20.
- (13) المصدر نفسه، الصفحة 21.
- (14) حسن بكار موسى، نجوى. بن الحاج محمّد نور، أحمد يونس. (ديسمبر 2018). مختصرات الشّيخ محمّد علي الصّابوني، بين قاذح ومادخ وأسباب الاختلاف بينه وبين أئمّة السّلف. مجلّة العلوم الإسلاميّة، المجلد 1 (العدد 2) الصفحة 88.
- (15) الصّابوني، محمّد علي. صفوة التّفاسير. ج 3، الصفحة 592.
- (16) المصدر نفسه، الصفحة 585.
- (17) المصدر نفسه، الصفحة 574.
- (18) المصدر نفسه، ج 1، الصفحات 34-56.
- (19) المصدر نفسه، سورة المسد.
- (20) المصدر نفسه، ج 1، الصفحة 48.
- (21) المصدر نفسه، ج 3، الصفحة 594. (نسخة الشّاملة)
- (22) المصدر نفسه، ج 3، الصفحة 254.
- (23) المصدر نفسه، ج 3، الصفحة 4.
- (24) المصدر نفسه، ج 3، الصفحة 574.
- (25) المصدر نفسه، ج 3، الصفحة 566.
- (26) المصدر نفسه، ج 1، الصفحة 293.
- (28) الصّابوني. صفوة التّفاسير. ج 2، الصفحة 222.
- (29) محمّد صالح أحمد، جيهان. توظيف الشّاهد الشعري الأسلوبّي في تفسير القرآن الكريم. الصفحة 1065.
- (30) ينظر: ماجد، ياسر. ياسين، محمّد. فنّ التّفسير وأدبه في العصر الحديث. الصفحات 76، 77.
- (31) علي زوّاري، أحمد. قراءة في المنهج البلاغي الصّابوني من خلال صفوة التّفاسير.